مجلة الحكمة للدراسات التربوية و النفسة ISSN : 2353-0502
المجلد2 ، العدد4، (جوان2014) EISSN : 2602-5248

العولمة ... و التّعليم
(مؤهّلات المعلم في عصر العولمة).

الأستاذة:حيدرة فتيحة
باحثة جامعية(جامعة الجزائر2)
البريد الالكتروني : hidraphilo@yahoo.fr

Résumé :

L'enseignement est, toujours, considéré comme le pilier du développement de chaque pays, et sans un enseignement efficace, le progrès sera empêché et le développement sera tardé, car une société qui ne prend pas l'enseignement comme une priorité aura un futur ambigu et incertain. A l'école, par exemple, l'instituteur ou l'enseignant est l'exemple de son élève. Dans ce contexte, l'influence de la mondialisation sur l'enseignement et l'éducation est importante surtout avec les changements qu'on reçoit quotidiennement. Malgré ces effets, nous devons nous adapter à ces changements par la formation des enseignants qualifiés, c.à.d « mondialisés » qui peuvent garder leur identité d'une part, et savoir mettre utile les sciences, connaissances et technologies au profit de leurs enfants scolarisés et par conséquence de leur pays d'autre part.

Mots clés:
Mondialisation- enseignement- enseignant mondialisé- mondialisation de l'enseignement- qualifications de l'enseignant.

مفهوم العولمة:

يختلف المفكرون و الدارسون للعولمة على ضبط مصطلحها. يعرفها رولاند روبرتسون (Roland Robertson) بقوله: « تشير العولمة إلى كل من انضغاط العالم و اشتداد وعي العالم بوصفه كلا واحدا»[1].

و تعتبر المؤسسات و الشركات المعولمة هي إحدى المظاهر المعبرة عن العولمة. حيث أصبحت العولمة مرادفة للغرب و للحداثة أي التوسع و الانتشار للثقافة الغربية في جميع بقاع العالم غير الغربي[2].

إنّ العولمة ليست مجرد ظاهرة اقتصادية فحسب، بل إنّها ظاهرة تحمل أبعادا ثقافية و سياسية و إيديولوجية. كما أنّ العولمة ليست مجرد مسخ تولدت عن الإمبريالية الغربية، بل أنّها قد انبثقت عن مصادر عدة للثقافة و الفعل الكوبيين من مختلف أرجاء العالم. ربما هذا ما يجعل العولمة أكثر تعقيدا و خلافية، و هذا الأمر يلزمنا بضرورة تحفيز المفكرين و القراء جميعا على التفكير في هذه الظاهرة و حيثياتها بعمق أكبر[3].

و من بين المجالات التي انعكست عليها ظاهرة العولمة، هو مجال التعليم و التدريس بمختلف أطواره و مستوياته، إيجابا أم سلبا، و بهذا، أصبح المعلم يستلزم جملة من المؤهلات لتجعله مدرسا من طراز عالمي، و في مستوى معلم معولم و للإطلاع على هذه الحيثيات نطرح التساؤلات التالية:

- ما دور التعليم في عصر العولمة؟
- و ما هي مؤهلات المعلم (المدرس) التي تجعله ذو طراز عالمي (معلم معولم)؟
- و كيف يمكن للمدرس ان يستفيد من علم: "التنمية البشرية" و في إعداد المتمدرسين و تكوينهم؟

1-دور التعليم في عصر العولمة:

للتعليم دور كبير لا يمكن حصره أو تقديره أو التنبؤ به، اذ ان نتائجه غير متوقعة، فنتائجه تخلف آثارا متسارعة بطريقة هندسية لا حسابية فقط. يقول بنيامين جويت[*]: « ثمة قوى في العالم تنمو، لا بمعدلات حسابية، بل بوتائر هندسية. فالتعليم إذا استخدمنا تعبير أفلاطون، يتحرك مثل دولاب يدور بتسارع متكاثر باطراد. كما أنّنا لا نستطيع أن نقدّر مدى ضخامة تأثيره بعد أن يصبح كونيا شاملا»[4].

فمثلا يرى الصحفي البريطاني "أندرو غمبل" (Andreu Gumbel) و هو في حالة اندهاش كلي: « حتى بعد مضي خمس سنوات على وجودي في الولايات المتحدة ما زلت أشعر بالدهشة من الحضور الكلي للامتثال الوطني...و لأنّ تعليم طفلي هو على المحك، فإنّني لا أستطيع إلاّ أن أتأمل الرابطة بين ما يغذّون عليه الأطفال الذين لا يتجاوزون السادسة من عمرهم...، يجري تجنيد الأطفال منذ بداية سنواتهم الدراسية لكي يؤمنوا بالمشروع... الذي تتركز تردد ترنيمته: نحن فتية طيبون، نسعى دوما لفعل ما هو صالح، نحن نعيش في أعظم دولة في العالم. ليس ثمة وجهة نظر أخرى، و ليس ثمة تكوين ثقافي مختلف، و من المستحيل التفكير جديا بهكذا

أمور... » [5].

فهذا الأمر يولد في نفوس الأطفال و حتى المراهقين المتمدرسين شعورا: "بالعظمة" و شعورا ب: "التفوق".

2- **المعلم المعولم:**

يتميز عصرنا اليوم ب "تسارع التقدم العلمي و تضخم المحصول المعرفي"، لذا على المدرس أن يكون حاصلا و مقتدرا على هضم جميع المعارف، و أن يواكب معرفة كل جديد من (اكتشافات و اختراعات و منشورات علمية، أو العلماء و المتخصصين المشاهير،...إلخ)[6]. إذ أصبح المتمدرسين و الطّلاب مولعون بكل ما هو جديد و لافت للانتباه و مغري.

و نظرا لتصاعد أعداد المشتغلين بشؤون العلم و التكنولوجيا[7]، هذا ما يلزم بإعداد مكونين و مدرسين في هذا المجال بغرض مسايرة القفزات النوعية في مجال العلم و المعرفة و التكنولوجيا.

يقول جاك دريدا: «...يجب على المعهد أن يساهم بأسلوبه و وسائله، في التفكير العلمي و الفلسفي القائم حول مسألة الغاية و أنماط إنتاج و امتلاك التقنيات الجديدة التي عمل تسارعها المثير على تحويل مجموع الثقافة و المعرفة...» [8].

ذلك أن البلدان العربية مصنفة من ضمن الدول المتخلفة بدرجة كبيرة جدا من الغرب فيما يخص التعليم و التكنولوجيا و خلق الوظائف و الإنتاجية رغم نزوح موجة العولمة إليها. بل إنّ الدول العربية أفظع من ذلك بكثير من الدول التي أخذت بحيثيات التحديث الغربي فيما بعد ك:[كوريا، سنغافورة، تايوان،...إلخ] [9].

2. كما أنّ المعلم و المرشد يجد نفسه مجبرا على إحلال التوفيق بين كل من التقدم التكنولوجي و السمو و الرقي الخلقي. و هي نقطة تعد من أخطر المتناقضات فالارتقاء الخلقي يهتم بالغايات أكثر من اهتمامه بالوسائل، بينما الحقول التكنولوجية فتهتم بالوسائل و التقنية. فما يدعى اليوم بالدول المتقدمة تفوق الدول الأخرى من حيث الجانب المادي، الاّ أنّها متخلفة على مستوى الغايات و المقاصد الذي يجعل الإنسان ينتقل من "التقدم المادي" إلى "الرقي الأخلاقي" و هذه هي مفارقة المجتمع الغربي المعولم[10].

3. إنّ العقل العربي في هذه المرحلة الراهنة من تاريخه يعيش حالة من الاغتراب و العجز و التمزق [11]. هذا ما يفرض على المدرس ضرورة بناء شخصية المتمدرسين و ذوات قادرة على تجاوز هذا التمزق الحاصل في الشخصية و الهوية منذ الصغر، و محاولة النهوض بصرح الثقافة و التعليم الوطنيين.

كما أنّ مهمة المعلم و المرشد أصبحت تتمثل في ضرورة الإشارة إلى كل ما هو جديد اليوم بغرض التوجيه و اكتشاف نقائض (تناقضات) الحضارة الغربية، لأنّ الواقع يبين بأنّنا اليوم ننقاد إلى التقليد الأعمى المتوجه إلى الظواهر السطحية من لباس و طعام و متع و ملذات أكثر ممّا نتوجه إلى اكتساب فضائلها و استكناه بواطنها للنهوض بالوطن و تحصيل الأساليب و المناهج العقلانية التي يستند اليها هذا النهوض. بل أنّ وجهة الكثيرين إن لم نقل الكل كانت موجهة صوب الاستهلاك المادي و أصبح آخر ما نفكر فيه هو الإنتاج و التقشف و العمل. بل أصبحنا غير آبهين لما يحدث من الإهدار و الإسراف و حياة البذخ التي وصلت إلى درجة الفجور و العبث[12].

4. و على المعلم أن يحمل مكانيزمات معينة تجنب المتمدرسين النفور و الانزعاج من الدراسة فمثلا: « سأل باحث اجتماعي ذات يوم شابا يفتقر إلى عمل ثابت و يمضي متنقلا من تدريب مهني إلى آخر: "ما الفئة الاجتماعية التي تكرهها أكثر من سواها؟"، فأجاب الشاب: "المدرسون و العاملون الاجتماعيون"، فتعجب الباحث: "و لكن لماذا؟ ألا يعملون على مساعدتك عوضا عن استغلالك؟"، فكان جواب الشاب: "لأنّهم يكذبون علينا، يخدعوننا، يدعوننا إلى الاندماج في مجتمع مفكك الأوصال"»[13].

فالعبرة من هذا الحوار هو أنّ مسؤولية المدرس و مهمته ثقيلة و كبيرة جدا، فالتلقين المعرفي لم يعد أمرا كافيا، لأنّ هناك الكثير من مصادر المعرفة و العلم في عصرنا (عصر العولمة)، بل أنّ الأمر الذي أصبح ينسب إلى المدرس هو مهمته في تأهيل التلاميذ و الطلاب للاندماج في مجتمعاتهم التي يعيشون فيها، و خاصة مع ازدياد نسبة المهاجرين و ظهور التّهميش و الفروقات الفردية ما بين الأفراد، و خاصة مع الحروب الأخيرة في إفريقيا و آسيا و الهجرة غير الشرعية و اللجوء نحو الدول الغربية الأكثر تقدما. فأبناؤهم المتمدرسين أصبحوا يدركون الفروق بينهم و بين المتمدرسين المحليين، ممّا يولد شعورا بالحقد و النقص تجاههم نتيجة الازدراء و التهميش.

و ربما أغلب ما تسعى المدارس إلى تحصيله هو: "وجوب قيام المدرسة بتعليم الأطفال كيف يتعارضون مع الآخرين و يحترمونهم"(*)(14) في نفس الوقت.

و ترى جان ندرفين بيترز (Jan Nedervean Pieters) أنّ المقاربة بين الحداثة/العولمة، إنّما يعتبر بمثابة: « نظرية في التغريب باسم آخر، تنسخ على نسختين كل المشكلات المرتبطة بالمركزية الأوروبية، و هي نافذة ضيقة تطل على العالم، تاريخيا و ثقافيا»(15).

و لكن، حتى نكتشف أوجه الاشتراك بين البشر، علينا أولا أن ندرك الفروقات التي تجعلهم مختلفين ذلك أنّ: «...المفارقة هي أنّنا لا نستطيع أن نفهم ما هو عالمي إلاّ بإدراكنا أولاّ ما هو مختلف»(16).

و ينقل لنا الصحفي البريطاني اندرو غمبل (Andreu Gumbel) قصيدة من كتاب ابنه المتمدرس في أمريكا نصها:

«أمريكا، أنا أحبك!
لقد رحبوا بجميع الأعراق،
ومن الأمكنة كلها،
لكي يستقروا على شاطئهم...
و منحوهم الحماية
بانتخابات شعبية،
مجموعة قوانين يختارونها
أنّها قوانينك و قوانيني،
من أجل قضيتك و قضيتي
لهذا الهدف نهض هذا البلد»(17).

فمثل هذه الأفكار تبث في نفس الأطفال و المراهقين الحماس و العزم و الإرادة، و تغرس فيهم حب الوطن و السعي إلى تحقيق هذا المشروع الوطني. و هذا مجرد مثال من دولة تعتبر الأقوى في العالم، رغم تعدد أعراقها و أجناسها و تاريخها (الذي يحمل ميزا عنصريا).

فرغم أنّ أمريكا دولة دون تاريخ، لكنها تتجاهل هذا و تخلق حاضرا يعمل على صنع "إنسان عالمي".

من هنا، فعلى المدرس أن يغرس في مدرسيه "مشروع الأمة"، للنهوض بها مهما كانت المعوقات و النقائض. لبناء معالم صرح "أمة و وطن عربي جزائري قوي".

اما الحديث عن مشروعية الأخذ من الثقافات و الحضارات الأخرى المختلفة عنّا في إطار العولمة، فالعالم اليوم أصبح "قطرا واحد"، أو "قرية صغيرة"، مع ضرورة التمسك بالاختلاف عن الآخر بغرض الحفاظ على الهوية الوطنية لكن دون التنازع و التحاقد تجنبا للصراع الحضاري و إحلال ثقافة الحوار و التعايش ما بين مختلف الثقافات حتى يتعلم المتمدرس أسلوب الحوار الراقي و النقاش الحضاري المتمدن.

إنّ أكثر ما يبدو أكثر سلبية و ظلاما في العولمة هو "التطابق". فالقارات المختلفة، و الدول المختلفة، و لكن مجموعة سلاسل محلات الماكدونالد هي نفسها تماما، و أفلاما ديزني هي ذاتها في صالات السينما المختلفة، و هنا تتجسد المضاعفة باعتبارها رد فعل متسلسل و هذا ما يدعى ب: « موت التّعدد ثم انتشار التضاعف»[18].

فالسياسة الاستعمارية، و حتى تبقى تعيش في راحة دائمة، فهي تسعى في القرن الحادي و العشرين إلى "الاستنساخ"، عن طريق نسخها تصميم "الشوارع الكبرى" و "الكوميديا" التي هي نفسها على كل شاشات التلفزيون[19]، و أنماط التعليم، حيث انّ هذا الاستنساخ يتضح معه أنّ كل الأشياء إنّما هي نسخ متطابقة و متشابهة[20].

فمثلا، آلان تورين يرى بأنّ المعلمين في فرنسا أدخلوا ضرورة فردنة التعليم (individualisation)، حيث أصبح التوجه العام صوب التلميذ، و قد رفض الكثير هذه الطريقة و نادوا بضرورة العودة إلى النمط الكلاسيكي للتعليم. إلاّ أنّ فردنة التعليم، أي الدعم الموجه إلى مبادرة التلميذ أصبح مطبقا اليوم في مجال التعليم. و بهذا فقد حدث انتقال من "مجتمع مؤسس على ذاته" إلى "توليد الذات" انطلاقا من الأفراد عن طريق مؤسسات خضعت للتغيير. و هذا ما يطلق عليه آلان تورين معنى: "نهاية الاجتماعي"[21].

و كل هذا كان وليد التّأثر بالمؤسسات الرأسمالية الليبرالية و تحويل كل ما هو اجتماعي إلى فرداني.

و لكن الأهم هو أن نعلم المتمدرسين كيف يكونوا ذواتا إيجابية و فعالة و قادرة على الاندماج الاجتماعي.

5. تعويد التلاميذ على خلق أفكار جديدة و نماذج فريدة من التفكير و الحلول لإشكالات معينة و بناء تصورات و رؤى متميزة، بغرض تدريبهم على الإبداع و الخلق و التجديد لا

التقليد و الاستكانة و التعود على الجاهز، و هذه الخاصية يمكن للمتمدرس أن يستقيها من مدرسه و معلمه و الذي يجب أن يكون أكثر إيجابية لا سلبية، يقول دانيال بل (Daniel Bell) في كتابه: (the cultural contradictions of capitalisme) عن "الجمهور الثقافي" الذي يتلقى الثقافة على اختلاف أنماطها: « هم ناقلو الثقافة و ليسوا مبدعيها، أولئك الذين يعملون في التعليم العالي، و الطباعة، و المجلات، و محطات الإذاعة، و المسرح، و المتاحف، و الذين ينظمون و يؤثرون في تلقي النتاجات الثقافية الرصينة...» (22).

لهذا، يجب الإشارة إلى أنّنا نعيش عصر السرعة، عصر الإبداع المتقد و الانجاز الفائق، و على المدرس أن يغرس في مدرسيه حب الإبداع.

بالاضافة الى ضرورة توجيه التلاميذ نحو الإنتاجية و تحقيق المردودية و خلق أفكار لخدمة المجتمع و الوطن. فالوطن العربي كل ما هو متواجد فيه لحد الآن هو جانب الخدمات [طب، تعليم، خدمات الاتصالات،...إلخ]. لذلك لابدّ من ضرورة تحفيز التلاميذ و غرس روح الإبداع و الاكتشاف و التجديد فيهم بغرض تفعيل حماسهم و آفاقهم المستقبلية. كما لا يمكن الاستهانة بأهمية استطلاعهم على المنشآت الصناعية و الخدماتية الفعالة في المجتمع. و غرس روح المبادرة الفعالة و الجادة، للتوجه نحو الإنتاج الصناعي و الزراعي و إحلال روح الغيرة الوطنية فيهم.

6. كفاءة المدرس: هي القادرة على الاستحواذ على عقول المتمدرسين، فلم يعد تلقي الدرس روتينيا يلاقي قبولا مثلما كان يبدو الامر من ذي قبل، بل أصبح اليوم الدرس أكثر ديناميكية و حركية يعمل على جذب و ترغيب المتمدرسين في المادة المعرفية لتحقيق أكبر مردودية، و خاصة باعتمادها على منهج "التدريس بالكفاءات" في مختلف الأطوار الدراسية. فالمهم ليس الحجم المعرفي الذي تحصل عليه المتمدرس، بل هو اكتساب مهارات و كفاءات تؤهله لحل مختلف الإشكاليات المعرفية و المشكلات العملية. و بهذا يكون التدريس عامة إستراتيجية أكثر منه مجرد تحصيل معرفي جامد.

7. كما أصبح على المدرس ضرورة السفر إلى ما بعد الثقافات المحلية، فأسلوب طرح المشكلات قد تغيّر. فنظرية العولمة قد احتوت و أقحمت قضايا الزمان و المكان و المشاكل الإقليمية في النقاش(23).

ISSN : 2353-0502
EISSN : 2602-5248

و هذا ما يلزم المدرس بضرورة تحديث أفكاره، فالعولمة هي: "الآن"، فكل القضايا الحية أصبحت مدروسة في "آنها". و على المدرس الحذق أن يعرف كيف يوجه أفكار و حوار و نقاش تلامذته حتى لا يغرقهم في وحل من التناقضات.

و عليه أن يكون ملما بمختلف اللّغات (الألسن) العالمية الأكثر استخداما (كالإنجليزية). ذلك أنّ المدرس غير الملم بمثل هذه الحيثيات قد يكون مسخرة للتلاميذ و بالتالي فقدان الثقة فيه. و هذا ما يتطلب من المدرس أن يكون: معلما (مدرسا) ذا "طراز عالمي".

8. شرط المحافظة على الهويات الوطنية:

إذ أصبحت دول العالم الثالث و خاصة المتعرضة للاستعمار من ذي قبل، ذات تبعية ثقافية للدول التي استعمرتها سابقا، بل أصبحت تابعة لها من حيث مناهج التدريس و كذا من حيث المضامين المعرفية. و كل هذا بغرض تحقيق تبعية في مجال المعلوماتية و التكنولوجيا و التقنية المعلوماتية و فرض إيديولوجيتها و لغتها كلغة حية أولى. أمّا الدول المستعمرة، فتحاول بانتهاج مناهج الدول المستعمرة لتجاوز التخلف الذي وجدت نفسها تقبع بداخله لسنوات طوال.

9. فالمدرس (المعلم) يحمل عبء الحفاظ على اللغة القومية و المحلية و جعلها مواكبة لمتطلبات العصر و المعلوماتية حتى تكون قابلة للاستخدام و الاستعمال و وظيفية.

فالنمو في المعلومات غير مقتصر على الربح في القطاع الخاص، بل هو أيضا متواجد في المؤسسة الرئيسة في عصر العولمة، أي في المؤسسة (ما بعد القومية). و قد شهدت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية نموا غير مسبوق في "المنظمات الدولية" أو ما تدعى ب: "ما بعد القومية"(24).

- إعادة الاعتبار للغة الأم و إتقانها و غرس روح تقديمها لدى المتمدرسين حفاظا على استمرار وجودها. إذ أصبح العالم اليوم يعيش "حرب لغات".

ففي زمان: « عالمية اللغة الفرنسية»، لم يكن آنذاك أي وجود للولايات المتحدة الأمريكية على الصعيد الدولي. و لكن أصبحت اليوم الولايات المتحدة الأمريكية القوة الاقتصادية الأولى في العالم. و هنا، أصبحت اللغة الإنجليزية تتجاوز اللغة الفرنسية في كل شيء. فهي لا تتجاوزها بعدد الناطقين بها في العالم كلغة أولى فحسب، بل تفوقها بحوالي أربعة أضعاف، بل تفوقها بالخصوص بأهمية التوسع الثقافي و السياسي و الاقتصادي للمجتمعات الناطقة بالإنجليزية و خاصة الولايات المتحدة الأمريكية(25).

مجلة الحكمة للدراسات التربوية و النفسة ISSN : 2353-0502
المجلد2 ، العدد4، (جوان2014) EISSN : 2602-5248

و بهذا، فالحفاظ على اللغة الوطنية أضحى رهانا لابد من العمل على كسبه، فحياة اللغة اليوم مرهونة بمدى توظيفها على جميع الأصعدة: السياسية و الاقتصادية و الثقافية، و كل هذا يبدأ بالجانب التعليمي. فالنهوض بهذا الأخير ينعش الاقتصاد و الثقافة.

كما أنّه لا يجب النظر إلى المدرسة كمؤسسة مستقلة عن عوامل النهضة و الإبداع و التقدم، فمثلا الولايات المتحدة الأمريكية، تراجعت نسبيا في الأعوام الأخيرة من حيث نسبة المتخرجين من الجامعة، لذلك فهي تخطط لأن تكون حوالي 2020م، أول دولة في العالم من حيث المتخرجين الجامعيين.

و هنا، يقول كانيفير: « إنّ الممارسة البيداغوجية تقف عند العادات و الأخلاق، لأنّ التعليم كان من دون شك، ينظر إلى الوراء أكثر ممّا ينظر إلى المستقبل،...»[26]. و هذا يدل على ضرورة حفظ التعليم لتراث الأمة بدلا من الاستغناء عنه كليّة، إذ لابد من حفظ إيجابياته و محاسنه و الاستفادة و أخذ العبر من كبواته.

10. ضرورة نشر الوعي، و العمل على توعية المتمدرسين بأهم مستجدات القضايا الاجتماعية و الثقافية و البيئية. و ضرورة إدماج هذه القضايا ضمن المنظومة التربوية و في البرنامج الرسمي: كضرورة الإحاطة بمختلف أمراض العصر (أبابها و نتائجها) و كيفية الوقاية منها، كما في حال "الذعر المتعولم"[27] الذي يتسبب فيه مرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز) [28]. بالإضافة إلى ضرورة التوعية البيئية و كيفية الحفاظ عليها [كثقب الأوزون المتسبب في ازدياد درجة الحرارة فوق سطح الكرة الأرضية، و ازدياد منسوب المياه و اختفاء بعض الجزر نتيجة ذوبان المناطق المتجمدة سابقا]، و تحسيس المتمدرسين بعواقب ذلك عاجلا و آجلا. إذ لا يعقل أن يكون الأستاذ في القرن الواحد و العشرين برداء ثقافة العصور الغابرة، بل لابد من أن يكون مسايرا لقضايا العصر و مستجداته.

11. ضرورة عدم الفصل بين التخصصات الأكاديمية في الجامعة، و بين سوق العمل و ما يتطلبه الواقع الحياتي اليومي و هذا من مهام الإدارة و التوجيه، أي لا يجب أن يكون هناك انقطاع ما بين متطلبات الواقع و المجتمع و الرؤى التكوينية و التعليمية و التربوية، بل لابد من أن تكون هناك حلقة وصل بين هذين المجالين حتى تحدث فعلا هناك نهضة ميدانية في الوطن.

12. لقد كان المعلم فيما مضى و في بعض القرى النائية من إفريقيا حاليا، و في بعض الدول المحافظة يشكل سلطة صارمة حيث يقوم بفرض هيمنته على كل تلاميذ الصف، و لكن بمجرد دخول مدير أو أحد الزائرين من الحكومة يسارع المعلم إلى الانحناء و الترحيب احتراما و خضوعا(29) و خشية.

بينما اليوم نرى تحرر السلطات، فلا التلميذ يشعر بالسلطة المطلقة للمعلم، ولا الأستاذ يرى وجود سلطة مطلقة للمدير. بل أصبح كل مهني يشعر باستقلاليته و حريته في وظيفته وفقا للإطار القانوني الذي يعمل فيه. لذلك فلابد من التعامل مع المتمدرسين و كسبهم بسبل أكثر تحضرا، إذ لم يعد الضرب أو التسلط أمرا ممكنا و ناجعا، بل لابد من أسلوب الترغيب.

13. ضرورة التنويه إلى حقيقة العولمة:

و يتساءل آلان تورين عن الكيفية التي يمكن الحديث بها على العولمة دون الرجوع إلى الفكرة القائلة ب "تصادم الحضارات"، و التي تحدث عنها: صاموئيل هنتيغتون [Samuel P.Huntington] في مؤلفه: "صدام الحضارات" [Le choc des civilisations]. فتورين يرى بأنّ فكرة العولمة تفرض عالما تسيطر عليه مصالح و قيم و شبكات مالية و اقتصادية و مشروعات و سلع و ناقلات و خدمات. إلاّ أن هنتيغتون تطرق إلى مفهوم الحضارة بصيغة الجمع. و بمعنى يختلف عن المفهوم الذي كان متداولا في فرنسا خلال القرن الثامن عشر و الذي يحمل معنى مقارب للمعنى الألماني للحضارة (Kultur). ففكرة هنتيغتون تحاول أن تؤكد على أن الصراعات الجوهرية في العالم اليوم لا تورط السياسة و الاقتصاد فقط، بل يمتد ذلك إلى أبعد بكثير. و ذلك بإنشاء معارضة بين كل المجموعات العالمية و خاصة الثقافية منها و الدينية(30).

<u>3 - مفاتيح المدرس الناجح: المعلم الأنموذج(الشروط الذاتية للمعلم):</u>

1. حب المهنة: و هو سر النجاح، إذ وردت في إحدى مقالات مجلة « ريدرز دايجيست»، بأنّ هناك شخصا من بين كل شخصين لا يرغب في المهنة التي يمارسها، أي كل شخص من بين كل شخصين يسعى إلى تغيير عمله، و يتوق إلى امتهان و ممارسة مهنة أخرى(31)؛ فكيف سيكون مردود هذه المهنة يا ترى!؟

إنّ النجاح في أي مهنة، و خاصة مهنة التعليم؛ يتطلب حبا لممارسة هذه الوظيفة، فالتعليم قبل أن يكون مهنة، فهو مهمة، قد تكلل بنجاح عظيم، أو تكلل بالخسران المبين

أو الفشل. إذ لا يعقل من شخص فاشل أن ينشئ جيلا بل قل أجيالا ناجحة. إذ أنّه سيبذر بذور الإحباط منذ البدء، و يضع القاطرة قبل الحصان. فيوقف عجلة التقدم و الحماس و يوأد أية مبادرة في مهدها.

ذلك أن حب المهنة يجعل من المرء حاملا لعبء تقدم الوطن و السعي قدما نحو بنائه و تطويره. لذلك فمهنة التعليم ليست بالأمر الهين، و التي أصبحت في عصرنا متاحة لأي كان.

2. تجنيب التلاميذ لروح الفشل و الإخفاق: فالخوف هو عدو النجاح، فالذي يمر بتجربة فاشلة في حياته أكيد سيمنعه هذا المجازفة مرة أخرى[32].

3. تعويد الطالب على: ضرورة التركيز على حل المشكلات عوض التركيز على المشكلات. فكل مدرس يجب أن يكون ملما "بعلم التنمية البشرية"، لأنّه يتعامل مع بشر لهم من الطاقات المتفجرة ما لا يمكن قياسها أو الإحاطة بها. لذلك يجب أن يكون قدوة و نموذجا للمتمدرسين في علمه و أخلاقه و حفاظه على الوقت.

4. فرض الوعي التربوي:

فالشخص الذي لا يقرأ، لا يمكنه أن يكون في مستوى أعلى من الشخص الذي لا يعرف القراءة. لذلك فعلى المعلم (المدرس) أن يحيط و يتعلم كل شيء له علاقة بمجال عمله ليكون متميزا: إذ عليه أن يشاهد البرامج التعليمية و التربوية، و يحضر المحاضرات، و يقرأ ما يمتّن معارفه و يزيد ثقته بنفسه و الاستفادة من محتويات الانترنت. حتى يكون المدرس ذا صلة بحياة العظماء ليقتبس من نهجهم في صناعة الأمم[33].و هذا ما جعل فرنسيس بيكون يقول: « المعرفة هي قوة في حد ذاتها»[34].

فبمقدار المعرفة التي نتحصل عليها نكون مبدعين و ممتازين في وظائفنا و مهامنا. فبالمعرفة تزداد درجة الذكاء، و ينفتح الذهن على آفاق و مجالات جديدة[35].

5. الطريق إلى القوة هو الفعل: فكما يقول جوته: « المعرفة وحدها لا تكفي، لابد أن يصاحبها التطبيق...و الاستعداد وحده لا يكفي، فلابد من العمل»[36]. إذ أكدت لنا بعض الأبحاث التي أجرتها جامعة ييل الأمريكية تؤكد ب: « أنّنا نتذكر 10% أو أقل من الذي نسمعه، و 25% من الذي نراه، و 90% من الذي نعمله»[37].

فتطبيق مثل هذه الخبرات يسهم في التحصيل الدراسي للمتمدرسين و مردودهم.

4 - التعليم و ضغط: (العولمة...المعلوماتية...و اللغات):

لقد أصبح التعليم في حصرنا يخضع لحيثيات الواقع الاجتماعي و التطور الحاصل على المستوى و الصعيد العالمي.

و بهذا أضحت المعلوماتية تقوم على أساس تكنولوجيا المعلومات و المعرفة، فإنّه توجد علاقة عضوية وثيقة بين الثقافة و قوى الإنتاج، في صلب التطور المعلوماتي[38].

فمثلا، الشاب الأمريكي المتوسط الذي يكون في سن 16 من عمره، قد تلقى 300.000 إعلانا تجاريا. بينما يعمل الإتحاد السوفياتي سابقا على بيع نتف من ملابس رواد الفضاء، و كذا السفن الفضائية، و كل هذا يعود إلى ثقافة و إيديولوجيا النزعة الاستهلاكية[39]. فكل هذه الأمور تؤثر على توجيه المتمدرسين باعتبارهم أطفالا أو مراهقين.

و نتيجة للضغط الزماني المكاني المتمخض عن توظيف التقنية الجديدة، على نشر لغات الأجهزة التقنية و المال و رأس المال الثقافي. و هذا ما يدعى ب: "الترتيب الزمني الطبقي" للغات العالم. بمعنى هو أنّ بعض اللغات تكون في طريق أسرع إلى إبداع المصطلحات و المفردات الجديدة إذ كثيرا ما تكون هناك فجوات اصطلاحية بين لغتين قاسية. و هذا ما أحدث ما يدعى ب:"التصنيف اللغوي". فعادة ما تعتبر بعض اللغات على أنّها تصنف ضمن منطقة زمنية أبعد باعتبارها ما قبل حديثة و متخلفة تفتقر إلى مفردات لغوية في الحداثة فما بالك فيما بعد الحداثة. أمّا لغات أخرى فتسعى إلى الاحتذاء اللغوي، و الذي يسقط عملية الترجمة، و يعتريها عجز اصطلاحي، فالاحتذاء اللغوي طريق مختصر، و لكن هذا الزمن المختزل، كثيرا ما يخسر في النهاية اللغة مصداقيتها. بينما لغات المستقبل، فهي اللغات الواعدة، الواثقة و التي تنطلق من كونها وافية بأغراض الحاضر[40].

فهذه المعطيات، تؤثر على توجه المتمدرسين و تجعلهم يحتذون باللغات الأجنبية، باعتبارها لغات عالمية، ممّا يولد ازدراء للغات المحلية.

لذلك، كثيرا ما تنسب السلبية إلى العولمة في المحافظة على اللغة، كما أنّ هناك عوامل تعتبر بمثابة تدمير شامل للغة و الثقافة: كالانتشار الجامح للإيديولوجيا المؤسسة على قانون السوق، هيمنة النماذج العلمية و التقنية الغربية، تأثير الشركات ما بعد القومية سياسيا و اقتصاديا بصفة كونية[41]. يقول دافيد هارمن (David Harman) بنزعة تشاؤمية لا تبشر بالخير أنّ: « الشعور بالأزمة يدفعه الاقتناع أنّنا سرعان ما نصل إلى

عتبة بالغة الأهمية، إلى نقطة عدم العودة التي سيفقد إثرها قدر خطير من التنوع البيولوجي و الثقافي، و لن يتجدد إذا اعتبرنا مقياس زمني له معنى لتطور الجنس البشري»[42].

و بهذا، فالتعليم ليس بمعزل عن التأثر بمستجدات الحياة و الواقع الاقتصادي و السياسي على الصعيدين: الداخلي و الدولي.

إنّ زعامة اللغة الإنجليزية تتضح أكثر فأكثر في مناطق النمو الأسرع في التقدم التكنولوجي، و هذا يعني أنّ كل اللغات الأخرى المتبقية تعد من هذا الجانب "لغات أقليات"[43].

فواجب التعليم هنا، هو تثمين دور اللغات المحلية، و ربطها بشروط الحضارة و الثقافة، و إعطائها بعدا تاريخيا و دورا في النهوض من جديد.

يقول كانيفيز (Canivez): «...، و غالبا ما كان الأساتذة المبتدئون يستعملون دروسا نقلوها عن أسلافهم أو يستعملون تلك التي أنجزوها في سنوات عملهم الأولى متجاهلين الإسهامات العلمية المعاصرة لهم»[44]. لذلك كثيرا ما ينظر إلى أنّ العاملين الأساسيين المحددين لقابلية اللغة للحياة في العصر الحديث إنّما هما "العلم و التكنولوجيا"[45].

خـاتمـة:

يقول فوكوياما: « يبدو لي، أنّ الجنس البشري كما لو كان قطارا طويلا من العربات الخشبية التي تجرها الجياد متجها إلى مدينة بعينها عبر طريق طويل في قلب الصحراء، بعض هذه العربات حددت وجهتها بدقة، و وصلت إليها بأسرع ما يمكن، و البعض الآخر تعرض لهجوم من الآباش "الهنود الحمر" فضلّ الطريق، و البعض الثالث أنهكته الرحلة، فقرر اختيار مكان وسط الصحراء للإقامة فيه، و تنازل عن فكرة الوصول إلى المدينة، و في النهاية يجد الجميع أنفسهم مجبرين على استعمال نفس الطريق، و لو عبر طرق فرعية مختلفة للوصول إلى غاياتهم، و فعلا تصل أغلب العربات إلى المدينة في النهاية. هذه العربات عندما تصل لا تختلف عن بعضها البعض إلاّ في شيء واحد هو توقيت وصولها إلى المدينة،...»[46]. فكذلك الأمم، هناك المتقدمة، و هناك المتخلفة، لذا على الأمم المتخلفة أن تأخذ بأسباب التقدم و التطور و الرقي حتى لا تبقى في ذيل الحضارات الأخرى. و من اهم أسباب النهوض بالأمم هو التعليم الذي سيختصر الكثير

من المسالك و يسرع وتيرة النهضة. و عليه فلابد من إعطاء أهمية لهذا الجانب الحيوي للارتقاء بأمتنا و النهوض باجيالنا في القريب العاجل.

و ارى بان لعلم: "للتنمية البشرية(**)" دور لا يمكن الاستهانة به لو ادرج ضمن المناهج التعليمية في اعداد الطلاب/الاساتذة، هذا من جهة، و من جهة اخرى سيكون هناك مردود كبير جدا لو طعمّنا به المتمدرسين في سنواتهم الدراسية ما قبل الجامعية. فمثلا في امريكا تخصص هناك حصة دراسية للتلاميذ خلال سنواتهم الاولى تدعى ب: "حدد هدفك في الحياة". فرسم معالم طريق النجاح للطفل منذ الصغر، يختزل الكثير من الطرق، و يحدد الهدف، و يعفي المجتمع و المدرسة من الكثير من الاعباء.

الهوامش:

(1). مايكل كرونين ، الترجمة و العولمة، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي و عبد الودود بن عامر العمراني، مراجعة: د. حسام الخطيب، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1431 هـ، 2010 م، ص 114.

(2). مايكل كرونين ، الترجمة و العولمة، ص 114.

(3). فرانك جي.لتشر/جون بولي، العولمة الطوفان أم الإنقاذ؟ الجوانب الثقافية و السياسية و الاقتصادية، ترجمة: فاضل جكتر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، مقدمة الطبعة العربية، ص 11.

(*). بنيامين جويت (1817-1893)م: باحث بريطاني متخصص في مجال الدراسات الكلاسيكية، عمل على ترجمة كتب أفلاطون و أرسطو [نقلا عن: بول وابنر: السلام الأخضر و العولمة السياسية، من كتاب جماعي: العولمة: الطوفان أم الإنقاذ ؟ ص 661: الهامش].

(4). بول وابنر، السلام الأخضر و العولمة السياسية، من كتاب جماعي: العولمة: الإنقاذ أم الطوفان؟، ص 661.

(5). نقلا عن: أناتول ليفن، أمريكا بين الحق و الباطل: تشريح القومية الأمريكية، ترجمة:د.ناصرة السعدون، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2008م، ص 159.

(6). قسطنطين زريق، خصائص الحداثة، من كتاب: الحداثة و انتقاداتها 2: نقد الحداثة من منظور عربي-إسلامي، إعداد و ترجمة: محمد سبيلا/عبد السلام بن عبد العالي، الجزء 12، إعداد و ترجمة: محمد سبيلا/عبد السلام بن عبد العالي، الجزء 12، ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2006م، ص 40، (أخذت في الأصل من: قسطنطين زريق، المنهج العصري، مجلة المستقبل العربي، بيروت، 1980م).

(7). نفس المرجع السابق، ص 40.

(8). جاك دريدا، عن الحق في الفلسفة، ترجمة: عز الدين الخطابي، مراجعة: جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة،بيروت، لبنان، ط 1، 2010 م، ص 669.

(9). برنار لويس، فشل الحداثة في العالم الإسلامي، من كتاب جماعي(نصوص مختارة) الحداثة و انتقاداتها2: نقد الحداثة من منظور عربي-إسلامي، ص(26-27)،[عن النص الأصلي: برنار لويس، الإسلام و أزمة العصر، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2004م، ص(133-138)].

(10). قسطنطين زريق، اختراق نقائض الحضارة الحديثة للمجتمعات العربية،إعداد و ترجمة: محمد سبيلا/عبد السلام بن عبد العالي: الحداثة و انتقاداتها 2: نقد الحداثة من منظور عربي-إسلامي، ص48. نص أخذ عن: قسطنطين زريق، ما العمل؟ بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1989م، ص (24-28).

(11). فؤاد زكريا، الصلة بين التخلف والاغتراب، من كتاب جماعي: الحداثة و انتقاداتها 2: نقد الحداثة من منظور عربي-إسلامي، ص 75.[نقلت عن النص الأصلي: فؤاد زكريا:الصحوة الإسلامية في ميزان العقل، بيروت لبنان، 1985م، ص(58-60)].

(12). قسطنطين زريق، اختراق نقائض الحضارة الحديثة للمجتمعات العربية،إعداد و ترجمة: محمد سبيلا/عبد السلام بن عبد العالي: الحداثة و انتقاداتها 2، ص 51.

(13). آلان تورين، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة: جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، مراجعة: سميرة ريشا، ط 1، 2011 م، ص 127.

(**). في مدينة (مالاوي) قام بعض الباحثين بإجراء استطلاع للمعلمين في إحدى المدارس، إذ كان 60% من مجموع المعلمين مجمعين على ضرورة إضفاء صفة الاختلاف لكن باحترام بين التلاميذ. [بروس فولر، الدول القومية: معلمون أقوياء؟ من كتاب جماعي: العولمة: الطوفان أم الإنقاذ؟ ص (235-236)].

(14). بروس فولر، الدول القومية: معلمون أقوياء؟ من كتاب جماعي: العولمة: الطوفان أم الإنقاذ؟ ص 236.

(15). مايكل كرونين، الترجمة و العولمة، ص 114.

(16). مايكل كرونين، الترجمة و العولمة، ص 109.

(17). نقلا عن: أناتول ليفن، أمريكا بين الحق و الباطل: تشريح القومية الأمريكية، ص 160.

(18). مايكل كرونين، الترجمة و العولمة، ص 184.

(19). مايكل كرونين، نفس المرجع، ص 184.

(20). مايكل كرونين، نفس المرجع، ص 184.

(21). آلان تورين، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ص (124-125).

(22). ديفيد هارفي، حالة ما بعد الحداثة: بحث في أصول التغيير الثقافي، ترجمة: د.محمد شيا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2005م، ص 338.

(23). مارتن آلبرو، السفر إلى ما بعد الثقافات المحلية، من كتاب جماعي: العولمة: الطوفان أم الإنقاذ؟، ص 217.

(24). مايكل كرونين، الترجمة و العولمة، ص 158.

(25). لويس جان كالفي، حرب اللغات و السياسات اللغوية، ترجمة: د.حسن حمزة، مراجعة: د.سلام بزي-حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2008م، ص 366.

(26). نقلا عن: جاك دريدا، عن الحق في الفلسفة، ترجمة: د.عز الدين الخطابي، ص 152.

(27). يان ندرفين بيترسه، العولمة و التهجين، من كتاب جماعي: العولمة: الطوفان أم الإنقاذ؟، ص 186.

(28). يان ندرفين بيترسه، العولمة و التهجين، من نفس المرجع، ص 186.

(29). بروس فولر، الدول القوية معلمون أقوياء؟ من كتاب جماعي: تحرير: فرانك جي/لتشنر/جون بولي: العولمة: الطوفان أم الإنقاذ؟ ص (241-242).

(30). آلان تورين، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ص 61.

(31). د.إبراهيم الفقي، المفاتيح العشرة للنجاح (التنمية البشرية للجميع)، إبداع للإعلام و النشر، القاهرة مصر، ط1، 1429هـ، 2008م، (المقدمة)، ص 14.

(32). د.إبراهيم الفقي، نفس المرجع، ص 83.

(33). د.إبراهيم الفقي، نفس المرجع ، ص 59.

(34). نقلا عن: د.إبراهيم الفقي، نفس المرجع ، ص55.

(35). نقلا عن: د.إبراهيم الفقي، نفس المرجع ، ص55.

(36). نقلا عن: د.إبراهيم الفقي، نفس المرجع ، ص 79.

(37). نقلا عن: د.إبراهيم الفقي، ، ص 82.

(38). مايكل كرونين، الترجمة و العولمة، ص 28.

(39). لسلي سكلير، سوسيولوجيا النّظام الكوكبي، من كتاب جماعي: العولمة: الطوفان أم الإنقاذ؟ ص 133.

(40). مايكل كرونين، الترجمة و العولمة، ص (175-176).

(41). مايكل كرونين، نفس المرجع، ص 108.

(42). نقلا عن: مايكل كرونين، نفس المرجع، ص 108.

(43). مايكل كرونين، نفس المرجع، ص 208.

(44). نقلا عن: جاك دريدا، عن الحق في الفلسفة، ص 154.

(45). مايكل كرونين، الترجمة و العولمة، ص 203.

(46). نقلا عن: د.عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1431هـ، 2010م، ص 55.

(***)علم "التنمية البشرية": هو علم معاصر، يقوم على اعتبار الانسان طاقة كامنة بحاجة الى ترجمة. و انه يمتلك اكبر طاقة في هذا الوجود و المتمثلة في "ملكة العقل" من اكبر زعمائه العرب الدكتور: ابراهيم الفقي(رحمه الله).